وانحبس لساني . ثم ذكرت وصية ابي . فقلت لها : لي يا ابنتي فلي معك حديث .

ثم خرجنا من غرفة الباخرة ، حتى اشرفنا على البحر . ونظرت فما كان احد قريباً منا . فأريتها البحر دون ان افوه بكلمة . فادركت ما اردت . وقالت « عفوك يا ابي » ثم القيتها في البحر أ فهمت يا سيدي ؟

وها انا ذا اتلو الفاتحة على روحها ، وقد مررت بمثواها . واني لوالدها مهما كان امرها .

تعريب محمود احمد

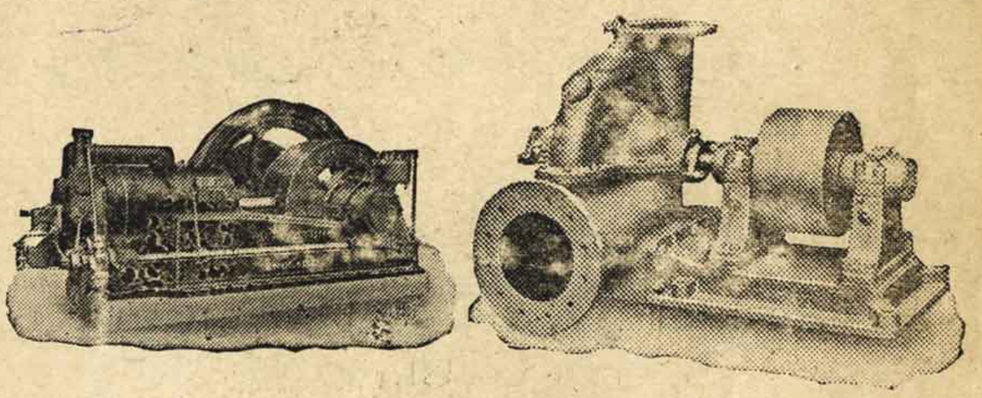

محرك بلاكستون ومضخة قاهرة دجلة

لا يحتاج لى اعلان لما اشتهر عنهما بين اكبر المزارعين فنحن لانريد الا ان تراجعنا للاطلاع على تفاصيل اخر مؤيدة بكثير من البراهين

محل جان بولص بحوشى اخوان

المجلد ١ العدد ٢

الحديث

صابر

مجلة شهرية غير سياسية

كانون الاول ١٩٢٧

نحن والمدنية الحديثة

— صرخة ثانية —

أذكر هذه الساعة وانا اكتب هذه السطور كلمة مرة قالها لي صاحب مجلة عراقية ، وكنت ارسلت اليه مقالا لينشره : « أعيد اليك مقالك معتذراً لأننا لم نستطع نشره على صفحات المجلة . وانت قد تعلم ان الوقت الملائم لنشر الفكرة التي جاءت فيه لم يأت بعد » .

وقد تناولت المقال منه وانا ذاهل . ورحت اتصفحه ، فاذا به مقالي العادي الذي كنت اعهده . وليس فيه الا تنبيه للغافلين ، ورأي في المكتبة القديمة وتعاليمها التي حاربها اليابانيون قبلنا نحن ابناء الشرق العربي ، واضحى يحاربها اليوم الناهضون في الصين وتركيا .

وهذه التعاليم التي تسد علينا ابواب التفكير والنظر في شؤون الحياة ، تدعونا الى القناعة مثلاً — فيما تدعونا اليه — . وقناعة الشعب بالقليل ان كانت تنفع فيما مضى فهي في هذا الزمن خلق سلبي ، وهي انكماش ، وهي

تضاؤل وتقهقر في معترك الحياة .

هذه التعاليم التي اشير اليها ، ولا أريد أن أذكرها لكثرتها ، ولأننا كلنا نعرفها ، هي خلاصة ما ورث الشرق الحاضر عن ابيه الشرق الماضي من فلسفات ، وخيالات . وهذه الفلسفات والخيالات ، هى التي كان ينادي بها الريحاني الاديب المشهور عن لسانه ـ لسان الشرق الحاضر ـ : «عندي فلسفات وخيالات فمن يبيعني بها طيارات ! » .

وليست القضية قضية بيع وشراء . انما هى قضية جوع قضية الملايين العظيمة التي تقطن الشرق الجائعة تحتاج الى غذائها ، تحتاج الى قوام حياتها من علوم مثمرة منتجة ، وفنون ، ومصنوعات تصنعها هي ، ولباس تنسجه هى فترتديه ، وطيارات وبواخر وسيارات وسكك حديد تستخرج معادنها من باطن الارض هى نفسها ، وادوات لنضالها تعملها هى بايديها لا تستجديها ولا تشتريها بالمال .

وما خلق هذا كله ولن يخلقه خيال من تلك الخيالات التي نعرفها نحن ، كما يعرفها الشيوخ الضعاف في الهند ، أو فلسفة من تلك الفلسفات الضالة القديمة واساسها الوهم ووساوس العقل الكليل .

***

اذكر هذه الساعة وانا اكتب هذه السطور ، وقفة الشاعر الخيالي الشرقي تاغور في نادي الشعراء في اميريكا قبل بضع سنوات ، وكان يخطبهم مندداً بمدنياتهم الجديدة ومافيها من عناصر القوة المادية ، هازءاً بها معظماً ـ بعد تنديده وهزؤه ـ المدنية الشرقية القديمة ، وماتركت في بقاع الشرق من فلسفات لاتدرك كنهها العقول .

أذكر ذلك . ولكنني أفهم كذلك : ان تلك الفلسفات التي يعتنقها

الشاعر الكبير وينافح عنها حرية بان تجمل شعره الخيالي ، حرية بان ترصع قصائده بلآلئها ومرجانها ، ولكنها ليست حرية بأن تقوم مقام الجامعات الاوربية ـ مثلاً ـ التي حج اليها قادة الفكر الحديث في الهند و شبابها وما زالوا يحجون اليها افواجاً ، فعلمتهم وماز الت تعلمهم قدر انفسهم وقيمة الحرية وسعادتها وحق الحياة . ولا ازيد .

ما أنا بجائر فيما اقول !

وربما كان تاغور في خطبته بليغاً ساحراً أعجب به شعراء اميريكا وصفقوا له ، ثم أعجب به من ورائهم الاميريكيون والاوربيون اهل المدنية عامة . بيد انه لم يستطع ان يبدل رأيهم فينا نحن أهل الشرق . لم يبرهن لهم على ان المرأة عندنا ـ ازاء فلسفاتنا ـ طليقة لا تقيدها حجول العبودية وان كانت من الذهب الابريز ، ولا تقيدها اوهامها وجهالتها .

لم يستطع ان يرفع عنا العار اللاصق بنا : عار الامية السائدة علينا وهي العقبة في سبيلنا الى غايات التقدم والرقي .

ان اولئك الشعراء الاميريكيين الذي خطبهم تاغور كانوا يعتقدون قبل خطبته ولا شك : باننا نعيش في شرقنا ضعافاً فقراء ، و بين ايدينا كنوز الارضين نعجز عن استخراجها .

(كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول)

وان قراهم خير من مدننا الخرائب في اقطارنا البلاقع . ففي تلك القصور العامرة والدور الصحية والحدائق والجنان والمتنزهات والنور والهواء النقي ، وفي هذه ركامات الانقاض ، والطرق الضيقة القذرة ، والهواء الفاسد والظلام .

واننا لانملك من وسائط النقل غير الدواب الضامرة التي خلقت للشعوب الخالية الآفلة في افق التاريخ . وقد تكون لدينا سكة حديد، ولكنها ملك الشركات الغربية .

واننا نجهل الديمقراطية ، دع عنك ماهو اكثر منها حرية .

واننا غير اكفاء لتقليدهم ، دع عنك الخلق والايجاد والاختراع وان رؤوسنا جامدة كالحجر ، لا طاقة لها على التفكير . وان « الظرف والرقة وادب الاجتماع والشورى والذكرى وما اليها » كلمات لا اثر لها في لغتنا.

واننا نحيا طوائف وشيعاً ، يكره بعضها بعضا .

وان التحاسد مزيتنا . واننا لا نعرف الذوق فى أكل أولباس .واننا نعد العمل رذيلة والبطالة مع الخمول ولو من غير الطرق المشروعة فضيلة . واننا نجهل الاقتصاد فنحسب التبذير والاسراف كرماً . واننا يقتلنا مرض القعود في القهوات على قوارع الطرق ندخن او نلعب النرد . واننا نستحرم الفنون الجميلة ،ونحرمها على أنفسنا .واننا نحسب التمدن كفراً . واننا نعرف من لغاتنا مئات من الاسماء للخنجر والمدية والعصا .

واننا قد فقدنا المثل الأعلى في الحياة .

وان عامتنا تستحوذ على عقولهم الكهانة والشعوذة والسحر .

وانهم قد لا يبالون ان يقاوموا النار والحديد بالتمائم والرقي .

وانهم متواكلون ينظرون الى الحياة نظرة ميتة . فير ونها جديرة بالاحتقار والتنكب عنها ، وتركها ونعمها وسعادتها عن طيبة خاطر للكافرين !

كذلك كان الشعراء الاميريكيون ومن ورائهم اهل العالم المتمدن من الافرنج ينظرون الينا وكذلك كانوا يعتقدون قبل خطبة تاغور ، فهل تحسب

الخطبة التى القاها فعظم بها مدنيتنا القديمة وفلسفاتنا الموروثة قد بدلت حرفا واحدا من ذلك ؟

كلا !

فعلينا ان كما نعتز بانفسنا ، ونرى لنا كرامة بين شعوب الارض ونريد ان نحيا حقا ، اقول علينا — اذن ان نجهر بحقيقة حالنا ولا نخفيها . وعلينا ان ننبذ فلسفاتنا الخيالية القديمة وتعاليمها في غير رحمة بها ولا رأفة . وعلينا ان نقبل على التعلم في هيام به وجنون ، لكى تزول الامية عنا . وعلينا ان نعلم المرأة فتحررها . وعلينا ان لا نعيش ضعافا معدمين . وبين ايدينا كنوزنا ، وعلينا ان نعمر خرائبنا ، وان نزرع اراضينا فنستثمرها بانفسنا . وان نستنشق الهواء الطلق الصحيح . وان نعتقد ان الطهارة ركن المدنية الاول . وان نتخذ السكك الحديد والسيارات والطيارات بدلا عن الدواب. وان نلغى نظم الاقطاع فنتنسم نسائم الحرية . وان نقلد المتمدنين الصالحين في اكلهم وشربهم وآدابهم وما يرتدون ، فليس تقليد الصالح عارا . وان نخلق ونوجد ونخترع . وان نفكر لانفسنا ، فان « فكر لنفسك » كما يقول الانكليز شعار المكتبة التطورية الحديثة . وان نتحد . وان نمحو عناصر البطالة فمن لا عمل له يجب ان يموت . وان نزاول الفنون الجميلة ونعشقها ، فما عرف شعب وما ذاق لذة الفنون الجميلة ، الا وذاق طعم الحرية عذبا لذيذا . وان نحارب الكهانة والسحر والتمائم والرقى . وان نشرب كؤوس السعادة في هذه الحياة حتى الثمالة .

ويقول وجيز :

علينا ان نتحفز لنثب فنفوز بالمدنية الحقة والحياة كما فاز بها اليابانيون